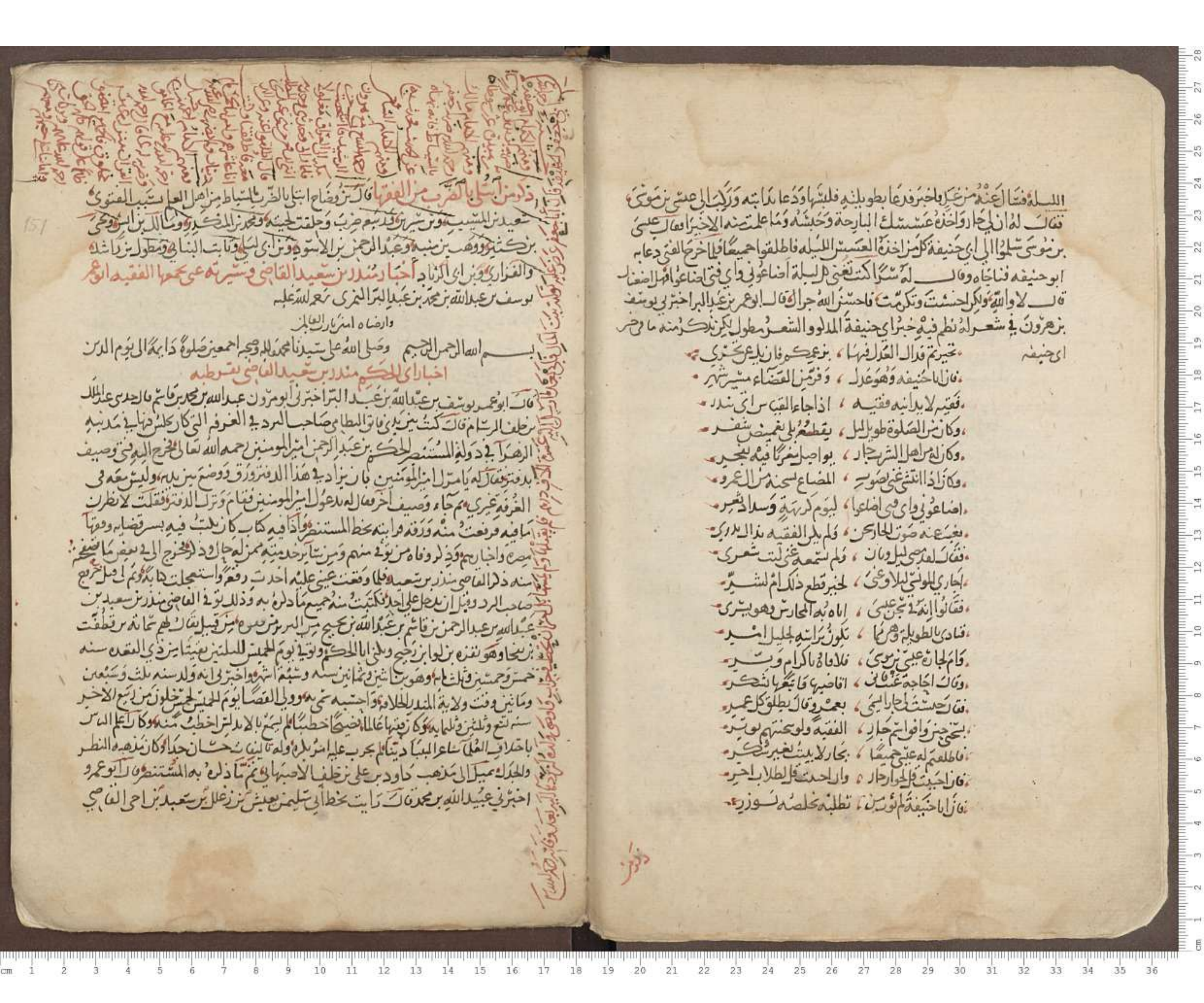


الليلة فسأل عنه من عنده بالخبر فدعا بطويلته فلبسها ودعا بدابته وركب الى عيسى بن موسى فقال له ان لي جارا واخذه عسسك البارحة وحبسه وما علمت منه الا خيرا فقال عيسى بن موسى سلموا الى ابي حنيفة كل من اخذه العسس الليلة فاطلقوا جميعا فلما خرج الفتى دعا به ابو حنيفة فناجاه وقال له سرا كنت تغني كل ليلة اضاعوني واي فتى اضاعوا فهل اضعناك قال لا والله ولكن احسنت وتكرمت فاحسن الله جزاك قال ابو عمر بن عبد البر اخبرني يوسف بن هرون في شعر له نظم فيه خبر ابي حنيفة المذكور والشعر مطول لكن نذكر منه ما في خبر ابي حنيفة

تخيرتم قدام العدل فيها · بنو عمكم فان بذلك نخبري
فان ابا حنيفة وهو عدل · وقر من القضاء مسير شهر
فقيه لا يدانيه فقيه · اذا جاء القياس اتى بندر
وكان من الصلوة طويل ليل · يقطعه بلى تغميض شفر
وكان له من اهل الشر جار · يواصل ليله فيه بخمر
وكان اذا انتشى غنى بصوت · المضاع بسحبة من العمر
اضاعوني واي فتى اضاعوا · ليوم كريهة وسداد ثغر
ففقد عنه صوت الجار حين · ولم يدر الفقيه بذاك يدري
فقال لقد مضى ليل وثان · ولم نسمعه غنى ليت شعري
الجاري المواتي للاوى · الخير قطع ذلك ام لشر
فقالوا انه في سجن عيسى · اتاه به المحارس وهو يسري
فنادى بالطويلة وهي مما · تكون براسه الجليل اشر
وقام الجار عيسى بن موسى · فلاقاه باكرام وبشر
وقال اجاجه عنى فاني · اقاضيه فاتبعها بشكر
فقال حبست لي جارا يسمى · بعمرو قال يطلق كل عمرو
بسجني جن وافوا ثم جار · الفقيه ولو بجنتهم بوتر
فاطلقهم له عيسى جميعا · بجار لا يبيت بغير سكر
فان احببت في الجوار جارا · وان احببت في الطلاب اجر
فان ابا حنيفة لم يوزر · تطلبه بخلصه لوزر

ذكر من ابتلي بالضرب من الفقهاء قال ابن وضاح ابتلي بالضرب بالسياط من اهل العلم سعيد بن المسيب ومحمد بن سيرين قد ضرب وحلقت لحيته ومحمد بن المنكدر ومالك بن انس ويحيى بن كثير ووهب بن منبه وعبد الرحمن بن الاسود وابن ابي ليلى وثابت البناني ومطول بن راشد والفزاري وابن ابي الزناد

أخبار منذر بن سعيد القاضي وسيرته مما جمعها الفقيه ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري رحمه الله عليه وارضاه آمين يا رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين صلوة دائمة الى يوم الدين

اخبار ابي الحكم منذر بن سعيد القاضي بقرطبة

قال ابو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر اخبرني ابو مروان عبد الله بن محمد بن قاسم قال حدثني عبد الملك بن خلف الرسام قال كنت بين يدي فاتن البطامي صاحب البرد في الغرفة التي كان يجلس فيها في مدينة الزهراء في دولة المستنصر الحكم بن عبد الرحمن امير المومنين رحمه الله تعالى فخرج اليه فتى وصيف بدفتر فقال له يامرك امير المومنين ان يزاد في هذا الدفتر ورق ووضع بين يديه وليس معه في الغرفة غيري ثم جاء وصيف آخر فقال له يدعوك امير المومنين فقام وترك الدفتر فقلت لانظرن ما فيه فرفعت منه ورقة فرايته بخط المستنصر واذا فيه كتاب كان يثبت فيه بسير قضاته ووقتها مصرا واخبارهم وذكر وفاة من توفي منهم ومن سار من خدمته ممن له حال وذكر الخروج الى في بعض ما يحتم منه ذكر القاضي منذر بن سعيد فلما وقفت عينى عليه اخذت رقعة واستعجلت كتابته ثم لي قبل خروج صاحب البرد وقبل ان يدخل علي احد فكتبت منه جميع ما ذكره به وذلك توفي القاضي منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن قاسم بن عبد الله بن نجيح من البربر من نفزة من قبيل يقال لهم كتامة بن قطفت بن نجا وهو نفزة بن لوا بن زجيج وكنى ابا الحكم وتوفي يوم الخميس للثلثين بقيتا من ذي القعدة سنة خمس وخمسين وثلث ماية وهو ابن اثنين وثمانين سنة وسبعة اشهر واخبرني انه ولد سنة ثلث وسبعين وماتين وفتت ولاية المنبر الخلافة واحتسبه نبيه وولي القضاء يوم الخميس لخمس خلون من ربيع الاخر سنة تسع وثلثين وثلثماية وكان فقيها عالما فصيحا خطيبا لم يسمع بالاندلس اخطب منه وكان اعلم الناس باختلاف العلماء شاعرا بليغا دينا لم يجرب عليه امر بكره وله تاليف حسان جدا وكان مذهبه النظر والجدل ميلا الى مذهب داود بن علي بن خلف الاصبهاني ثم تم ما ذكره به المستنصر قال ابو عمر واخبرني عبيد الله بن محمد قال رايت بخط ابي سليمان بعيش بن زغلل بن سعيد بن اسحق القاضي

منذر بن سعيد قال لي القاضي في رجب سنة خمس وخمسين وثلثمائة لي منذ سكنت قرطبة
ثلث وثلثون سنة ومضى من عمري ثمانون سنة فدل هذا على انه دخل الى قرطبة من كوره
سنة اثنين وعشرين وثلثمائة قال ابو عمر رايت في تاريخ محمد بن حا ن اسد الذي وضع
في اخبار فقهاء الاندلس ذكر منذر بن سعيد فقال منذر بن سعيد بن عبد الله البلوطي
من اهل قرطبة يكنى ابا الحكم من اهل البغاد والتحصيل متقلدا للنظر متدرب في المناظرة متخلص
بالانصاف جيد الفهم صحيح الغرض نقي القريحة طويل العلم بليغ في افهامه موجز في كلامه
مستقصر في استفهامه يميل الى طرق الفضائل ويوالي اهلها ويلهج باخبار الصالحين مستحسنا
لها رحل حاجا سنة ثمان وثلثمائة فاقام في رحلته اربعين شهرا وانصرف فادخل الاندلس
من علم النظر ومن علم اللغة كتبا كثيرة وامتحنه امير المومنين بعيرما امانه واخرجه رسو
ثغريا فقام بخلص محمودا وقام بما حمل مشكورا ثم ولاه قضا كورة مارده وما ولاها من جوانب
الجوف ثم ولاه قضا الثغور الشرقية وجعل فيها نظر القضاة وامينا على العمال وعينا ثم ما ذكره
ابن حارث في تاريخه ومن عمره انه ولي الشورى انشاوره ابن ابي عيسى القاضي وسائر الحكام في وقته
وقد رايت له فتيا في مسلة قبل في احكام ابن ابي زيد صاحب الرد ماك في اخرها قال ابن ملك منذر
بن سعيد لم يحضرني حفظ المسلة لانص جوابه ثم ولي الصلوة بجامع الزهرا وكان اول خطيب خطب
فيه ثم ولي قضا الجماعة بعد ابن ابي عيسى في التاريخ الذي تقدم ذكره وبقي على الصلوة في الزهرا
حتى توفي ولما تمت الزيادة التي بناها المستنصر بجامع قرطبة امر بالصلوة فيه والخطبة وان
يذكر امر الزيادة وكان اول من خطب في تلك الزيادة الجديدة وعند المنبر الجديد وسياتي فضله الذي
ذكر في الزيادة في خطبته في موضع من هذا الكتاب ان شا الله تعالى قال ابو عمر ورايت
كتاب طبقات النحويين من جميع الامصار الذي الفه محمد بن حسن الزبيدي وذكر منذر بن سعيد
يكنى ابا الحكم كان متفننا في ضروب العلم وكانت له رحلة لقي فيها جماعة من علماء اللغة والفقه وجلب
كتبا في اختلاف العلما رواها عن مولفها محمد بن منذر النيسابوري وهو يسمى كتاب الاشراف وكتاب
العين رواية عن ابي العباس بن ولاد وكان يتفقه بفقه ابي سليمن داود القياسي الاصبهاني
ويوثر مذهبه ويحتج لمقالته وكان جامعا للكتب فاذا جلس مجلس الحكم قضى بمذهب مالك واصحابه وكان
اعلم بالقران حافظا لما قال العلماء في تفسيره واحكامه ووجوهه في حلاله وحرامه كثير الاطلاع
له محاضر الشاهد بايته وله فيه كتب حسنة منها كتاب الاحكام وكتاب الناسخ والمنسوخ

الاسبار

الشابر بالبغاية في الفقه والرد على اهل المذاهب وكان ذا علم بالجدل حاذقا فيه شديد المعارضة
حاضر الجواب ثابت الحجة وكان اخطب اهل زمانه عن بديهة مع ثبات جنان وجهارة صوت
وحسن ترسل وكان ذا منظر نبيل وخلق جميل وتواضع لاهل الطلب وانبساط اليهم واقبال عليهم
وكانت فيه دعابة حسنة وله خطبة عجيبة ورسائل بليغة واشعار مطبوعة وقام بين
يدي امير المومنين الناصر لدين الله رحمه الله عند دخول رسل طاغية الروم عليه والمجلس محتفل باهل الخدمة
وهم قيام على اقدامهم فارتجل خطبة عجيبة ذكرها من الخلافة وفرض الطاعة ووصلها بهذه الابيات
وذكر الابيات بتمامها ثم ما ذكره به الزبيدي في كتابه من الطبقات وسنكتب في هذا الكتاب
الخطبة والشعر بتمامها في موضعها ان شا الله اذا فرغنا مما جرى من ذلك في كتب اصحاب التواريخ
ونذكر فيه ايضا فصولا ادخلها خطباء لاسباب اوجبت ذلك ليست تجري مجرى خطب الجمع اذ هي
تعرض لها ونذكر من بليغ رسائله ما حضرنا ان شا الله تعالى ما ذكره به احمد بن محمد
بن موسى بن بشير الرازي في تاريخه الذي كان يولف لامير المومنين الناصر من امور الدولة
واخبارها ثم المستنصر بعده رضوان الله عليهما قال ابو عمر رايت في تاريخ الرازي توفي القاضي
منذر بن سعيد بن عبد الله البلوطي ويكنى ابا الحكم يوم الخميس لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة خمس
وخمسين وثلثمائة وهو ابن اثنين وثمانين سنة وسبعة اشهر وولي القضا يوم الخميس لخمس خلون من
ربيع الاخر سنة تسع وثلثين وثلثمائة وكان فقيها عالما فصيحا خطيبا لم يسمع بالاندلس اخطب منه
وكان اعلم الناس ببلدنا باختلاف العلماء شاعرا بليغا اديبا دينا لم يجرب عليه مرة كذب وكان يذهب
النظر والجدل يميل الى مذهب داود بن علي بن خلف الاصبهاني وكانت له رحلة حج فيها ولقي بن المنذر
النيسابوري اخذ عنه كتاب الاشراف على الاختلاف واخذ عن ابن الولاد بمصر كتاب العين للخليل
بن احمد واخذ عن ابن النحاس وغيره من اهل العلم بمصر وباين العلم ولقي بقرطبة عبيد الله بن يحيى بن ابي
عيسى ومحمد بن قاسم ومحمد بن عمر بن لبابه وغيرهم من رجال الاندلس وله اوضاع كثيرة منها كتابه في
غريب القران ومعانيه واحكامه واختلاف العلماء في حلاله وحرامه وكتاب الابانة على استنباط
الاحكام من كتاب الله عز وجل وكتاب الابانة عن حقايق اصول الديانة وكتاب الناسخ والمنسوخ
في القران واختصر كتاب شرح معاني الاثار للطحاوي من احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتاب
التبيين عن سبيل اليقين وكتاب الافصاح عما غلط فيه محمد بن الخزاز القروي في الجبر والاستطاعة وغير ذلك
وكتاب رد فيه على ابي عمرو بن حدير في التشبيه وخلق القران وغير ذلك وكتاب رد فيه على محمد بن عبدون

152b

الكاتب في وجوب الكتمان وغير ذلك وكتاب رد فيه على ابي عمر في المجاز ومن قال بقوله وكتاب رد فيه
على بن عبد البر الكشكناني في مسالة جنة الخلد وغير ذلك وله الرد الذي رد فيه على الافتراق
بين اهل الملل وله كتاب التحصيل لما غلط فيه بلدين التاويل وكتاب التبيين على غلط اهل التمويه وكتاب
الرد على من قال في دين الله برايه وله في صفاته واسمائه تمم ما ذكره به الرازي قال ابو عمر
وكتبت من كتاب محمد بن مسعود البجاني الذي الفه في شعراء الاندلس وسماه الانوار ما ذكر به منذر
بن سعيد قال محمد بن مسعود قاضي الجماعة منذر بن سعيد بن عبد الله وكان واحد عصره وفريد دهره علما وفهما
وخطابة وبلاغة ودهاء وذكاء ومعرفة بتاويل التنزيل وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم وكان شاعرا
مفوها وخطيبا مصقعا جدليا ومتصرفا في فنون العلم والاداب وبصيرا باللغات والاعراب وله اوضاع
جمة كثيرة وهو في الناس معروف شهير فمن احب ان يقف على حقيقة فهم الرجل ومكانه من العلم فليطالعها
فانه يرى حقائق علمه ويعلم مقدار معرفته وفهمه وله خطب شريفة سرية جمعت جزالة الاعرابية
وفخامة البدوية وحلاوة الحضرية قريبة ثابتة عالية وله اشعار مطبوعة سنية صحيحة نقية
وحظه من الخطابة اوفر من حظه من الشعر واجزل لانه كان الى الخطابة اميل غير انه كان مجودا في الامرين
ومحسنا في الفنين وقل من يحسنهما ويجودهما ولولا انا لم نقصد بكتابنا هذا الا مقصد الاشعار لادخلنا
من خطبه ما يدل على ما ذكرناه عنه من الاقتدار والاتساع وهي بايدي الناس كثيرة وفيهم مشهورة وعلى
السنتهم متداولة فمن اراد الوقوف على حقيقة ما ذكرناه فليتصفح شيئا منها فانه يرى من ذلك ما يونسه
ويوقفه ان شاء الله ولتمام علم منذر وكماله وبراعة خلاله وفصاحته وخطابته ولاه امير المومنين الناصر
رحمه الله قضا الجماعة بقرطبة وقبل ذلك ما كان ولاه قضا فحص البلوط والخوف وكان يساور امر الفقها
ايام ثاني عيسى القاضي ثم ولاه قضا جميع الثغور الشرقية ثم الصلوة بمدينة الزهرا ثم قضا الجماعة
على ما تقدم ذكره فلما توفي الناصر رحمه الله تعالى اقره المستنصر على قضا الجماعة علما برجاحته وفصاحته وجلالته
ثم نقل اشعاره التي اختار من قوله مما خاطب به الناصر والمستنصر واشعاره في الزهد ومراثيه في اخوته
وذكر له ابياتا خاطب بها ابن شهيد ذا الوزارتين سنذكرها في هذا الكتاب مع الحكايات التي جرت به
عنه ان شاء الله فهذا ما وقع الي مما ذكره به اصحاب التواريخ بالاندلس وقد ذكره غير من ذكرت
ممن لم يقع الي ما ذكره به واصحاب هذا الشان قليل ببلدنا. الخطبة التي خطب بها رحمه الله
بين يدي امير المومنين عبد الرحمن بن محمد الناصر في دخول وفد الروم عليه والشعراء
المومِّلين بها قال القاضي ايها الملا ان احوج ما افتتح به المقال واستنجح به السوال الحمد لله

الدى

153a

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible] الرحمن [illegible] ورد على
وعلموا فعلهم وحزنا وان الملوك [illegible] العظيم [illegible]
انا متساعد [illegible] الجدرة [illegible] متساعد
[illegible] في الجالم [illegible]
[illegible] الشيخ ثم عارض بيعارض على
[illegible] منهم
[illegible]

153

الذي جعله فاتحة كتابه وخاتمة اوليائه في دار السلام فالحمد لله الذي علا فقهر وبطن فظهر وملك فقدر يوتي الملك من يشا وينزع من يشا بيده الخير وهو على كل شي قدير احمده على حوادث نعمايه وسالف الايه وصلى الله على محمد وعلى جميع انبيايه بعثه في خراتهم اخرجت للناس وانقذ به من ظلمة الحيرة والالتباس يبشر برحمته وثوابه وينذر بنقمته وعقابه وامين وحيه وكتابه ثم بعد حمد الله والثنا عليه فلكل حادثة مقام ولكل مقام مقال وليس بعد الحق الا الضلال واني قد قمت في مقام كريم بين يدي ملك عظيم فاصغوا الي باسماعكم وافهموا عني بافهامكم معاشر الملا ان الصدق مسموع وان الحق متبوع وان من الحق ان للمحق صدقت وللمبطل كذبت وان الجليل تعالى في ثنايه وتقدس بصفاته واسمايه امر موسى صلوات الله وعلى جميع انبيايه ان يذكرنا بايام الله عندهم وفي رسول الله اسوة حسنة وانا اذكركم ايام الله عندكم بخلافة امير المومنين بعد ان كنتم قليلا فكثركم ومستضعفين فنصركم فولاه الله حفظكم واسند اليه امركم وقد ضربت الفتنة سرادقها على الافاق واحاطت بكم شعب النفاق حتى صرتم في مثل حدق البعير من ضيق الحال ونكد العيش والتقتير فاستبدلتم ببركته اياسته من الشدة الرخا واستقبلتم بيمن بيعته وبامن خلافته الى مساجد العاقبة بعد استبطان البلا ناشدتكم الله معاشر الملا الم تكن الدما مسفوكة فحقنها والسبل مخوفة فامنها والاموال منتهبة فاحرزها وحصنها الم تكن البلاد غامرة فعمرها وثغور المسلمين مهتضمة فانقذها ونصرها فاذكروا الا الله عليكم بخلافته وتلافيه جمع كلمتكم بعد افتراقها باقامته حتى اذهب الله غيظكم وصرتم يدا على عدوكم بعد ان كان باسكم بينكم ناشدتكم الله الم تكن خلافة امير المومنين قفل الفتنة بعد انطلاقها من عقالها الم يتالف صلاح الامور بنفسه بعد اضطراب احوالها الم يطفي شعل النفاق في الافاق بعد اشتعالها حتى اقام الله به الويه الهدى بعد دروسها واناربه اعلام الدين بعد طموسها ووضعت الحرب اوزارها وولت شياطين الانس ادبارها ولمت ضرار الفتنة واكدارها وامن السابل واقصر المتطاول واعتدل صعر المايل واستقام اود الحايك وتايد الاسلام ونفذت الاحكام وانكشف الظلام وتحصنت الثغور وانتظمت الامور وعاد الحق جديدا ورحل الباطل بعيدا تولى ذلك بعزم مويد وحزم مسدد ولم يكل ذلك الى القواد والاجناد حتى باشره بالمهجة والاولاد واعتزل النسوان وهجر الاوطان ورفض الدعة وهي محبوبة وترك الراحة وهي بالوفر مطلوبة بنية خالصة وبصيرة نافذة وريح غالبة ونصرة من الله واجبة وسلطان قاهر وحظ ظافر وسيف منصور تحت عزم مشهور ونفس نقية ونية زكية تحملا للنصب مشتغلا لما ناله في جنب الله من التعب حتى لانت الاحوال بعد شدتها وانكسرت شوكة الفتنة بعد حدتها

عدن فردوس نعيم ماوى خلد سلام قامة حيوان واسماها ايضا الجنة

اسما الجنة الجنة الثاني دار السلام الثالث دار الخلد الرابع دار المقامة الخامس جنة الماوى السادس جنات عدن السابع دار الحيوان الثامن الفردوس

وجنات ... وجنات ... وقال وكم جنات معلم ... وقال ... جا

... جنات مقام ... جنات ... جنات

سميت الشام لكونها عن شمال الارض ولان بعضها حضرة الشامات وقيل لان باب الكعبة مستقبل مطالع الشمس فمن استقبله كان اليمن عن يمينه والشام عن شماله ... ذكره في القطعة وجعل طولا من العريش الى الفراة وقيل الى بالس قال ... ابن حبان اول الشام بالس واخره العريش واما عرضه فمن جبال طي من نحو القبلة الى بحر الروم وما يسامت ذلك من البلاد ... وبالسند الى ... قال قلت لسعيد بن جبير الجوهري يحلني من نفسه ويسلم على فارد عليه فقال سعيد سالت ابن عباس ... وحدث عمران بن حصين ... ما ... في الجملة انه ... ولم ... ضعف ... ... في الفقه والتفسير ... باختصار ... اليوم

153b

لم تزل لها غارب الاحبه ولا نجم لاهل النفاق قرن الاحده فاصبحتم بنعمة الله اخوانا وبلغ امير المومنين اطال الله بقاه شعثكم على اعداء الله اعوانا حتى توارت الفتوحات وفتح الله عليكم بخلافته ابواب البركات وجاءت وفود الروم واردة عليه واما ال القاصين والادنين وافدة اليه يأتون من كل فج عميق وبلد سحيق ليقضي الله امرا كان مفعولا ولن يخلف الله وعده ولهذا الامر ما بعده وتلك اسباب ظاهرة تدل على امور باطنة دليلها قايم وعيبها غايم وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا وليس في تصديق ما وعد الله ارتياب ولكل نبا مستقر ولكل اجل كتاب فاحمدوا الله ايها الناس على الايه وسلوه المزيد من نعمايه فقد اصبحتم بيمن خلافة امير المومنين ايده الله بالعصمة والسداد والهمه حاضر التوفيق الى سبيل الرشاد احسن الناس حالا وانعمهم بالا واوعزهم قرارا وامنعهم دارا واكثرهم جمعا واجملهم صنعا لا تهاجون ولا تراعون وانتم بحمد الله على اعدايكم ظاهرون فاستعينوا على صلاح احوالكم بالمناصحة لامامكم والتزام الطاعة لان من نزع يده عن الطاعة وسعى في فرقة الجماعة مرق من الدين وخسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين وقد علمتم ان في التعلق بعصمتها والتمسك بعروتها صلاح الدنيا والديانة وحفظ الاموال واداء الامانة وان بقوام الطاعة تقام الحدود ويوفى بالعهود وبها وصلت الارحام ونفذت الاحكام واجتمعت كلمة الاسلام وبها سد الله الخلل وامن السبل وبها طاب لكم القرار واطمانت بكم الدار فاعتصموا بما امركم الله بالاعتصام به فانه تعالى يقول واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وقد علمتم يا معاشر المسلمين من صنوف المشركين وضروب الملحدين الساعين في شق عصاكم وتفريق شملكم الكادحين بالغوايل في دينكم وهتك حريمكم وتوهين دعوة نبيكم صلى الله عليه وسلم وعلى جميع النبيين والمرسلين والحمد لله رب العالمين ثم الى الملي بالمكافاة والقدير على المجازاة ارغب واياه اسال وبه اليه اتوسل ان يتولى من مكافاة امير المومنين ابقاه الله ما لا يفي به الاجزاء ولا يتسع له الاعطاء ولا يبلغه الاجوده ولا يطول به الابد ولا يكون الا عنده واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين الذي صدق وعده واعز جنده وغلب كيده ونصر وليه وحزبه ومكن في الارض لخليفته يتبوا منها حيث يشاء فنعم اجر العاملين وقال

متقلد حد السيف وسط المحافل ، فرقت به ما بين حق وباطل ،
بقلب ذكي ترمي جنباته ، كبارق رعد غير رعش الانامل ،

وقد حدقت نحوي العيون تخالها ، كمثل سهام اثبتت في المقاتل ،
فما دحضت رجلي ولا زل معولي ، ولا طاش عقلي يوم تلك البلابل ،
لخير امام كان او هو كاين ، لمقتبل او في العصور الاوايل ،
ترى الناس افواجا يومون فضله ، وكلهم ما بين راج وآمل ،
وفود ملوك الروم وسط فنايه ، مخافة بأس او رجاء لنايل ،
فعش سالما اقصى حياة معمرا ، فانت غياث كل حاف وناعل ،
ستملكها ما بين شرق ومغرب ، الى ارض قسطنطين او درب بابل ،

قال

هذا المقال الذي ما عابه فند ، لكن قايله ازرى به البلد ،
لو كنت فيهم غريبا كنت مطرحا ، لكنني منهم فاغتالني النكد ،
لولا الخلافة ابقاها الله بحتها ، ما كنت ابقى بارض ما بها احد ،

فصل قام به على راس المستنصر رحمه الله اذ وفد عليه امير النصرانية ابن منقود

الحمد لله ذي الجلال والاكرام والايادي الكبار والالاء العظام على النعم القوام والالاء الجسام وصلى الله على محمد نبي الرحمة وامام الهدى ومصباح الظلام معشر المسلمين اذكركم نعم الله عندكم بخلافة الامام المستنصر بالله امير المومنين الذي اعز الله دينكم ببركة خلافته وشفى صدوركم واذهب غيظ قلوبكم بيمن امامته واعلا كلمتكم باعلام دولته واظهركم على عدوكم بظهور بيعته وحسبكم ما ترون من وفود ايمة الكفر عليه واقبالهم متنصلين اليه قد لزمهم الذل والصغار لم يوجف عليهم بخيل ولا ركاب ولكن الله قذف رعب الامام المستنصر بالله في قلوبهم واسكن هيبته في صدورهم ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خاسرين فاتوه صاغرين خاضعين خايفين يحبون كل صيحة عليهم نعمة من الله على من استخلفه في ارضه وارتضاه امينا على خلقه خصه الله بفضلها وشملكم وجميع المسلمين ذلك فضل الله يوتيه من يشا والله ذو الفضل العظيم الذي علمه تبارك وتعالى من صدق نيته في الحماية عن الدين وصحة طويته في الذب عن الاسلام والمسلمين علم ما في قلبه فانزل السكينة عليه واثابه فتحا قريبا فاكشفوا المحض في طاعتكم بالمناصحة لامامكم والدعاء لخليفة ربكم وابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم تكفرون بالعاجل وتنتظرون ثواب الاجل ان شا الله اللهم كافي عنا بجنات النعيم واستعمله باعمال المتقين واجعله بطاعتك من الفايزين وابقه رؤوفا بالمومنين وقطا على الكافرين وزدنا في اعلايه وتاييده واعزازه وتمكينه وعصمته وتوفيقه ان ذلك حايط لدينا ودنيانا وادنانا واقصانا وخاصنا وعامنا واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون، واستغفر الله لعامة المسلمين لا إله إلا هو رب
العرش العظيم **فصل خطب به في حين المستنصر بالله رحمه الله إلى الغزو**
الحمد لله الذي رضي الإسلام دينا ختم به الأديان، وبعث به محمدا عليه السلام واصطفى له من بعده
من سبق في علمه أن يكونوا خلفاء في الأرض وقوامين بالقسط، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك الذي بعثته
رحمة للعالمين، وعلم نجاة لمن آمن به واتبعه من الخلق أجمعين، اللهم اغفر لأمير المؤمنين عبد الرحمن
بن محمد فقد أعمر أيامه بطاعتك وجهاد أعدائك، اللهم أصلح عبدك وولي عهدك عبد الله المستنصر بالله
أمير المسلمين فقد افتتح مغازيه بمجاهدة المشركين والمناضلة عن ذراري المسلمين، اللهم أيد نيته بالتوفيق
وأراه بالتسديد وعزماته بالنجح وأصحبه ضاعنا وصادرا السلامة والفتح، معشر المسلمين بادروا ما
فارق أمير المؤمنين من أيامه وحضوره وأصحر النية وجهه من جوهر جوهره وانجاد كل من جاهد معه عما
انبعث من نيته وحركته فله منه أعلى الدرجات وأجل المقامات ما استحق عند ربه، فأخلصوا له
دعاءكم والتزموا من الرغبة إلى الله عز وجل في سلامته فإنها سلامة الجميع وبنصر الله له تثبت قواعد الملك
وتظهر الله كلمة التوحيد على كلمة الشرك إن شاء الله معشر المسلمين ادعوا لإخوانكم المجاهدين واحفظوا
مغيبهم فهم جيرانكم وصلوهم بتعهدكم في أهليهم وعودوا مرضاهم وشيعوا جنائزهم وأغنوا طالب
الحاجة منكم فذلكم دأب الصالحين قبلكم، وفقنا الله وإياكم **فصل زاد في جملته إذ**
خطب بجامع قرطبة عند تمام الزيادة التي زادها أمير المؤمنين المستنصر
عباد الله إن أفضل البيان ما أنزل الله من بينات الهدى والفرقان قال الله تعالى إنما يعمر مساجد الله من
آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين، وعسى
من الله واجب ووعد واقع من رب صادق فما أسدل القول لديه ولا يضيع من أسند أمره إليه، فالحمد لله الذي
هدى أمير المؤمنين لإقامة أعلام الدين وتجديد شرائع الدين مقتفيا لآثار النبيين والأئمة الراشدين والسلف
الصالح من الصديقين والشهداء والصالحين، والحمد لله الذي وفقه للأفعال المرضية والآثار الزكية التي
تبقى على مر الليالي والأيام فخرها وله عند الله في الآخرة أجرها وشكرها هذا بيت أذن الله برفعه وأجرى
ذلك على يدي أمير المؤمنين واختصه بفضله ليذكر اسم الله فيه آناء الليل والنهار ويسبح له فيه بالغدو
والآصال فضيلة حباه الله بها ورآه أهلا لها ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
ثم اعلموا عباد الله أن الدعاء بتوفيق أمير المؤمنين رضا الرب العالمين وبركة لجميع المسلمين اللهم تابع في توفيق
أمير المؤمنين وأيده بما أيدت به أهل طاعتك من أهل السماوات والأرضين أجمعين واكشف به ما اشتهر

عن

علينا من مصالح المسلمين اللهم اكف من كاده واكبت من حاده واقصم من سعى في توهين سلطانه واجعله أكمل سيف
وسنانه اللهم كافه عنا بما لا يفي به الإجزاء ولا يتسع له الإعطاء ولا يبلغه الأجود ولا
يطول به الأبدان ولا يكون إلا عندك إنك ذو العرش المجيد الفعال لما تريد **وله في خطبة**
لولا أن الله تبارك وتعالى أخذ العهد والميثاق على العلماء بقوله لتبيننه للناس ولا تكتمونه لما جاز أن يعظ
مذنب ولا أن يذكر مقصر ولكن فيما أعلم من نفسي شغل عن عظتكم فاتقوا الله أيها الناس لعلكم تفلحون
وخطب يوما فأحسن وأعجبته نفسه فأراد أن يدلها فوصل خطبته فقال حتى متى وإلى متى أعظ ولا أتعظ
وأزجر ولا أزدجر أدل على الطريق المستدلين وأبقى مقيما مع الحائرين إن هذا لهو البلاء المبين، ومن رسالة
رسالة كتب بها إلى ابن أبي العيش صاحب جراوة في العدوة إذ كان وجهه الناصر أمير المؤمنين رحمه الله تعالى
إلى العدوة إلى زحر   بسم الله الرحمن الرحيم أطال الله بقاءك وأحسن إليك وأتم نعمته
عليك ووفقك للسداد والهدى وحاضر التوفيق إلى سبيل الرشاد أعلمك رضي الله عنك أن أمير المؤمنين عبد الرحمن
بن محمد أطال الله بقاءه وجهني إليه لهذا الساحل عامة وإليك وإلى نظرائك خاصة عالما بما يدعونه وداعيا إلى
طاعته ومحضضا ومرهبا ومعذرا ومنذرا لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد واعلم وفقك الله أن أحكام الدنيا
موضوعة على أحكام الآخرة ومبنية عليها ومنتظمة بها ومماثلة لها قال الله تبارك وتعالى والسابقون
السابقون أولئك هم المقربون فلم يزل الناس يستلون في دنياهم مما وعدوا به في أخراهم وتلك الأمثال نضربها
للناس وما يعقلها إلا العالمون وأنت ولي الله حفظك في فطنتك ومعرفتك وتعقلك وتجربتك أحذر من
يعتبر بما ضرب للناس من الأمثال وضرب لهم من الآيات ليتذكروا وما يذكر إلا أولوا الألباب فسارع
سارع الله بك وفضل بحوزه للسابق إلى التزام الطاعة والمتابعة لأمير المؤمنين والدخول فيما دخل فيه المسلمون المجاورون
لك والمطيعون قبلك وإياك أن تخطئ إن شاء الله ما سار عنك وتسعد بتداركه وأقبل هذا الأمور وهو معرض عليك ولا
ترده وهو يسمح به لك فإن الأمور تتشابه إذا أقبلت فإذا أدبرت تبين للعالم والجاهل فتدبر أرشدك الله في
هذا البلاد فكرا وقف على جميعه فصلا فصلا واجمع له ذهنك واحشد إليه فكرك وأمت عنده
رأيك وتصفحه عقلك واحضر له حلمك وعقلك فإن الغضب عدو ابن آدم يحول بينه وبين الفهم
حتى لا يسمع ولا يبصر وإن سمعت أدناه لم يفهم ومن لم يفهم قلبه المعنى الذي ينعوه لا يسمع الادعاء والنداء
ولا يخرقه فإن الأمر هذه صفته عندك فإن السفيه لا يأتيك من عنده خير ولا رشد أبدا ولا تشاور
فيه من يحضرك من المعلس بالمشاركة فإنك متى شاورتهم شاروا عليك بما يصلحهم ويفسدك ويفيدهم ويخذلك
فإني إنما أدعوك لما فيه الخير لك في آجلك والسلامة والحظ الأوفر في عاجلك إن أطعت أمير المؤمنين باطراد

والمجاهد للمشركين وقاسم الفي في المسلمين ما اخذه مما يجب اخذه من اموالهم ورده في ثغورهم ومصالح امورهم
يذب عن حريمهم ويبذل نفسه الكريمة دونهم وهذه صفة الائمة الذين يجب متابعتهم ولا ينبغي
احد مخالفتهم الا انك لا تنكر انت ولا احد ممن يعرف وينصف قدم امامته وشرف خلافته الا ان كل
ائمتهم بسفك دماء المسلمين واستحلال اموال الموحدين وسبيهم ووضع الفي فيهم وفي ديارهم اقداما
على الله وجرءة عليه وتعديا للحدود وخلافا على كتاب الله وسنة رسوله عليه السلم لم يصح له عند
الناس بعد دعواه نسب ولا تقدم له في هذا الامر سبب ما عرفته وداعي ضلاله شيعته المفسدون
واتباعه الضالون كل من قصر فهمه ومن بالله علمه فاما العقلاء من اهل مملكته والعلماء من ساكني مصره فانهم
لفعله منكرون ولمذهبه ساخطون وعلى غير ما شرع للصلاة من اتباعه محتملون فراجع الرمك
الله حلمك واستسقط من سنتك واتق الله على نفسك وقف وقفة على ما خاطبتك به بجميع عقلك واعزم
بصحة ذهنك تعلم باذن الله اني لم انطق الا بالحق ولا خاطبتك الا بالصدق واعلم ان الموت بين يديك وقضا
الله نافذ عليك افترضى ان تلقى ربك بجرم من يرى سفك دماء المسلمين دينا وبذل ستراتهم تبذيلا
ويستحل اموالهم ويضع الفي فيهم اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون فان
انكرت وكابرت فانما تكابر عقلك وتزري على نفسك وتبدي للناس بغضك فبادر ايدك الله الى
ما ندبك اليه وسارع الى ما دعوتك له وكان الذي كنت تتوقع قد اظلك والذي كنت ترجوه قد اسلمك
فاغتنم المهل عوضا من المدد من قبل صفقتك وسل بعد ان فتح الله لك باب الدخول في ذلك كل ما اردت
وامدد املك الى كل ما احببت فلتنبسط امنيتك الى الخطط التي ترفعك والارزاق التي تسعك والحرمة
تسقطك والصلات التي يملك يوفي لك من ذلك بما تتمناه ويفرك من انعام امير المومنين وافضاله
ما تحسبه وتستطاه فاقبل الخير وهو يعرض عليك قبل ان تطلبها وهي معرضة عنك بل والله قبل
ان يحويك ما يطول عليه ندمك ويشتد له اشفك وتطلب الخلاص حين لات حين مناص ف
واعلم ان امير المومنين اطال الله بقاه قد اقسم بالله قسما لا روية له في غير انفاده ان متى لم تقبل
ما بذل لك وتدخل فيما دخل فيه نظراوك والقبايل المتصلة بك وتوجه مع رسولك بكتابك
بموالاتك لامير المومنين والتزامك الطاعة ودخولك في الجماعة ليبصر نعمته الرفيعة اليك ويبذل
ثبوت اموالك عليك ثم لا يقبل حينيذ دعوتك ولا يقبل عثرتك ولا يغتفر زلتك حتى يحكم الله
فيك وهو خير الحاكمين فالا ان ولي الله توفيقك وانت بخير النظر ما دام عناغانك من سلا ابت
في ايرل في مهل من الدخول في الطاعة التي هي منقذتك والاصرار على المعصية التي هي مهلكتك فان

انزت

156

اثرت الطاعة توجه رسولك الى امير المومنين بكتاب يدل على طاعتك وموالاتك ما يتك امان
وعهد لك كلما سالت وتشهد لك على ما فيه من الامان والوفا بما بذل له ولي عهده اعزه الله وسائر
ولده حفظهم الله ووزراوه ووجوه رجاله وخيار من بحضرته من قضاته وفقهائه مضى على ما جرت به
العادة لامثالك ونظرائك واشكالك عند مشهد من رسولك وانا لك به زعيم فانظر لنفسك عزم الله
بارشاد امرك قبل ان تحدق بك اولياء الدولة والقايمون بالدعوة برا وبحرا فيحيق بك التسفا ويحيط
بك شرا ذو البلام ننهم الان ما اخاطبك به بقلب فارغ وعقل حاضر وفكر جامع وكاني والله انظر الى
ايدي بني حرز وحمد بن بصل ومد بن سوتي اولياء امير المومنين في جميع من نزهم اوالف بهم وقد جعت
عليك وامير المومنين قد ارمى عليك بالحماة والابطال من بين فرت زور جال مستعدين لمحاربتك ومهيجين
لمحاربتك بخلاف ما تعرفه من الغدد وما توسمه من الاهبة فانظر ما انت فاعل اذا فعل اذا حيل بينك وبين
الماء الذي لا تستطيع ان تحرزه وقد احاط بك عشرة الاف من رماة الجدرة ونصبت عليك المناجيق التي
لا يعصم منها الحذر فضلا عن الدرق ولا تسبق اليك الا انها قد حلت عليك وكان قدمهم بمنع ابنيرم ويقطع
من تعقل من البر والبحر وتبقى محصورا مدحورا ثم تكلص في ميدان الغافلين وتضطرب في معركة
المعتدين قد حلت امانيك وخابت اراجيك تستنجد من لا ينجدك وتستنصر من لا ينصرك بل والله يسلمك
ويخذلك فيكون مثلك ومثله كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر الاية واعوذ بالله ان
يكون من الجاهلين اذا ذكروا لا يذكرون ويقولون سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين وان
يحملوا على راي يكون هذا عاقبته او تغرس غرسا يكون هذا ثمرته ثم اعلم ادام الله العافية لك اني
لم احاطك بكل ما خاطبتك به من التذكرة والتبصرة والملاينة والمساهلة والانذار والارعاد
والوعد والوعيد والابعاد والرهبة والرغبة الا عن عهد امير المومنين وبامره وانا نعرفه
ابقاه الله بكل ما خاطبناك به ورافع نسخة هذا الكتاب اليه ليعلم ابقاه الله اني لم آل في الاعذار
اليك واتخاذ الحجة عليك ومنه اليه ما يكون من جوابك ان كان لك جواب وان عزك السلطان
واستولى علينا الخذلان وارجو ان لا يفعل الله ذلك ولا يقضي به عليك فاعلم انها اول علامات
العطب وان حدثت في الهرب فان الطالب اخذ من الهارب وستعلم لمن تكون عقبى الدار اما ان
فقد بلغت في تبصرتك الغاية وفي مناصحتك النهاية وكفى بالله شهيدا وهو اكبر الشاهدين واسال
الله ان يلهمك ما فيه حظك وتبصرك مواقع رشدك ويكشف الزيف الواقع على قلبك انه يفعل
ما يشاء ويحكم ما يريد وهو سميع قريب وهو على كل شي قدير. تمت الرسالة ووجدت رقعة

يحظا اي يكون المغيلي وكان من اهل الفهم فذكرتها الى القاضي رحمه الله عنوانها مسئلة مبهمة ثم كتب
في اول الرقعة ابياتا وهي

ايها الفقيه اصلحك الله ولا زال ذاخرا للاجرا ،
ما ترى في امر من اصبت جهرا ، ويراضي قبل الاعادي سرا ،
مانع للامام خيرا وشرا ، خالط في الامور حلوا ومرا ،
ما له في صدرهم دار مال ، هو يسخو عليك بالناس طرا ،
افتح مازنيكا فاسلا ، او حادا يقسط من يحرا ،
افتني بالذي علمت شافيا من الجواب جهرا او سرا ،

ثم كتب يا سيدي وسرمتعني الله بسلامتك وكبت اهل كراهيتك هذه نازلة عرضت ومالطرتها عبر
الى نظر الفقيه حفظه الله تعالى فما ترى في انفاذها والسلم عليك يا سيدي ورحمة الله فجاوبه القاضي
في ظهر الرقعة وللجواب جلبنا نسخة الكتاب لتب القاضي رضي الله عنه
بسم الله الرحمن الرحيم يا سيدي ومن ابقاه الله من كافة اسنوفي جفة معجلا
ومن اعضي استطر بوا ما موجلا والمعجل نفي والموجل نفي والدفع بالتي هي احسن لا يلقاها الا ذو حظ
عظيم وارى ان يترك الترك ما تركونا وندعهم ما ودعونا الا ان يضطرونا او يكشفوا وجوههم
الينا فاذا كان ذلك فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم والباغي مصروع لوعد الله والسلم عليك
يا سيدي ورحمة الله وبيده بلا عجمة ومعارجز له موبه بالكتاب وحرت الرسول قد شرد بها
شردا او رسايله لترد الى من شاطر منه وردد عليهم والى غيرهم وانما كتبت منها ما ثبت لئلا يخلو
هذا الكتاب من بعضها ومن مليح اخبار ما حكاه الزبيدي فيه في باب ذلك اخبارا في
جعفر بن النحاس وحدثني قاضي القضاة منذر بن سعيد قال اتيت ابن النحاس في مجلسه فالفيته
يملي في اخبار الشعراء شعر قيس بن معاذ المجنون حيث قال
خليلي هل بالشام عين حزينة ، تبكي على نجد لعلي اعينها ،
قد اسلمها الباكون الا حمامة ، مطوقة بانت وبان قرينها ،
فلما بلغ هذا الموضع قلت يا ابا جعفر ماذا اعزك الله فقال لي وكيف تقول انت يا اندلسي
فقلت بانت وبان قرينها فقال القاضي فما زال يستثقلني بعدها حتى منعني كتاب العين وكنت ذهبت
الى الانتساخ من نسخته فلما قطع بي قيل لي اين انت من ابي العباس بن ولاد فقصدته فلقيت رجلا

كامل العقل والعلم والادب حسن المروة وسالته عن الكتاب فاخرجه الي ثم تندم بعد اذ بوجعفر النحاس
حين بلغه اباحة ابي العباس كتابه لي وعاد الى ما كنا نعرفه منه تمت الحكاية ، وكان رحمه الله طيب
في ذات الله سوندا للحق صابرا على القول محتسبا بحرمته في جنبه لا يبالي في ذلك لومة لائم حتى كاد لله لضجه
ويحل عنصره عند السلطان وللهم صبر والة عليه وتر عواقبه لعلمهم بصحة طويته وصدق نيته ووفق
بصيرته فما يشهد له بذلك انه حكي عنه ان كتاب غالب بن عبد الرحمن القايد الكبير ورد على
ابن سعيد سالم مع رجلين من كبار الجند يذكر له فيه ان امراه نزعت اليه وذكرت انها احدعت
او قهرت بقرطبة حتى اخرجت الى مدينة سالم وانها حرة وان اهلها والدا سكنا في ربض القاضي
فبعث بها غالب الرجلين وكتب الى القاضي يعلمه امرها وبان له استخبار قصتها وحملها على الواجب
فلما قرا القاضي الكتاب قال للرجلين واين المراه فقالا له هي جارية حدثت جميلة وقد خرج
الينا رجل من الجند يعرف بابن الطماطن فانتزعها منا وصارت عنده ولم يكن لنا به طاقة لنطاوعه
علينا بمثله من اهل الشر وكان الناصر في ذلك الوقت عليلا محجوبا وكان القاضي عن يمينه وكتب الى غالب
بجوابه واطلقهما ثم رغب الى الحلم ولي العهد فاجرم واراه كتاب غالب اليه فقال له لست ادري
لك التعرض لجند امير المومنين لا سيما في هذا الوقت فالحاجة اليهم شديدة وتلزمنا مداراتهم
وان احدثت في هذا شيئا ثم نقمه امير المومنين ورفع اليه الجندي ذلك لم امن ان يلحقك من انكاره
عليك ما يشق عليك فقال فانظر انت في هذا الامر فانت ولي عهده والقايم مقامه
فقال اخاف ان يلحقني في ذلك فوق ما يلحقك كاني بهم يقولون اذا عرف القصة الم امت
بعد وانت تحكم في جندي وتذل رجالي لست افعل في هذا شيئا ولا امر لك ان تتعرض لمثل هذا
فخرج من عنده وتغمه من تلخص لفظه الجارية وابيها ورجع الى الحيلة فامر اعوانه كانوا التسرالى
ابن الطماطن وان تقف به منهم رجلان ويقولا له ان القاضي يدعوك فانهض معنا اليه ويلونون
ترتيبهم على مقربة فان طاع لم يهيجوه وان امتنع على الرجلين فاتى من الافيال اليه تعاونوا
عليه حتى ياتوا به فمضوا على ما حد لهم فلما ان وقف به الرجلان قالا له القاضي يدعوك فاطلع
معنا اليه ساعة وكان زيد قال لهم القاضي حيث وجدتموه لا يبتحا ون الموضع حتى ياتوني به
لا يدخل داره البتة بعد ان نظر اليهم فقال لهما ادخل الدار واخذ ردائي فقالا لم لا
في ردائك ومر بما جر لم الملك فلا سبيل الى مفارقتك البتة فانطاع واخرج اليه الرداء ودخل
الطريق معهم حتى صار بين يدي القاضي في ندية فقال للاعوان خفوا عنا حتى لم اسوعن شيئا في

البيت ما قبل عليه ببسطه وبداريه وقال له نعلم ان النصيحة واجبة لبعضنا على بعض من وجوه
كثيرة لا سيما وخدمة السلطان تجمعنا وقد كتب الى الوزير الفايز غالب بكيت وكيت وجلى
رسله عنك كيت وكيت فاسبل الستر على نفسك واحضر الجارية نردها الى ابيها فانه ان علم
بهذا ولي العهد ورفعه الى امير المومنين كان في ذلك ذهاب مهجتك لانك اقدمت على عظيم وحرمت
كبيرا فانكر ما قاله القوم عنه ولج في ذلك فلانه جهده فاي عليه وقال ليست هذه صفتي
ولا انا ممن يرضى بهذا ونحو هذا من القول فلما راى القاضي انكاره واعيته الحيله فيه قال ان الاعوان
قال فاقبلوا فقال اقيموه جردوه هاتوا السوط ثم قال اسمع من لم يرد به الجميل فقد عقوبته
صلاحه تالله لئن ضربتك منه سوطا ثم اقررت ان رفعته عنك حتى يكمل المائة وابتدي المائة الاخرى
ان دفع عنك الضرب حتى يكمل المائة الثانية ثم كذلك مائة مائة حتى ترجع الجارية او تذهب نفسك فلما وقف
هذا الموقف وايقن بالبلا اقر قبل ان يضرب بالجارية وقال احضرها اعز الله القاضي فقال له
لست تبرح من بين يدي او تحضر اعط الاعوان امارة الى اهلك فاذا جي بالجارية رايت راي فبلغ عطا تم
خاتمه وتوجهوا الى داره ثم بعث في والدها فاتى الاعوان بالجارية وجاء ابوها فقال له القاضي
هذه ابنتك فقال نعم وقال لها هذا ابوك فقالت نعم فقال للشيخ اخل بابنتك واعرف ان كان احدث
عليها هذا حدثا فذكرت انه لم يكن منه اليها شي اكثر من انه ادخلها داره وحجبها فيها فقال
القاضي للشيخ خذ بيد ابنتك وانصرف ثم عطف على بن الطماطني فقال له لو فعلت هذا قبل ان توقف
نفسك هذا الموقف اما كان اجمل بك انصرف فلولا ما نعرفه لنالك مني ما تكرهه ثم ركب الى ولي
العهد فلما صار بين يديه قال له انصرفت ابنة الشيخ الى ابيها واغنى الله تعالى عنك وكانت له عليه
دالة لم تكن لغيره فقال له وكيف فاخبره بالامر فقال له ولي العهد فلو لج في الانكار الن تضربه
فقال له نعم والله كنت اضربه فما عسى ما كنتم تفعلون في هل كان الا العزل فعزل منذر بن سعيد
لان ايد الحق ونصر المظلوم وكان ماذا فشكره ولي العهد وقال له الحمد لله الذي اهلك لهذا وصرف الى
الشيخ ابنته لا اخلانا الله من حسن نظرك وجميل نيتك وحكى ان القاضي قال له [illegible] ابيه
من النظر في القصة معنا فلما حوايجنا والبشر هذا بسعيد عند من يعرف لطيف محله منه وعز له
مثل هذا ايضا مع الناصر في قصة بعض الخلفاء من الفتيان كان قد سكن على مقربة من مقابر بني العباس
عند مسجد الامير الذي في اخر الزقاق الكبير واول المقبرة قرب دور القرشيين بني العباس الذين تنسب
اليهم المقبرة فانه حكى ان جيران المسجد وقفوا بالقاضي فشكوا اليه ان الفتى يامر ببسط الزبول جامه على القبور

158

وخوالي المسجد وان الدود تنتشر منها فتدخل في المسجد وتكثر فلا يكاد الرجل يجد حيث يسجد الا عليها فاوصى اليه
في ذلك وعرفه بما قاله الجيران وتواعده ان لم يقطع ذلك عنهم فلم يحفل بالوصيه واستهان بها ثم ان الجيران
عادوا الى القاضي وحكوا انه ثبتوا عليهم وتزيد الاضرار بمن امكنه منهم والتشديد به فقال لهم اذا
لم يكن في الدوله فاعلموني باعلوه في الوقت الذي حضر فيه في داره فاستركب نتنشه الفقها حتى وقف
على باب دار ذلك المقدم ثم استخرج فخرج فامره بقطع الضرر بعد مشاورة الفقهاء بحضرته فبسط
الفتى لسانه فسب القاضي وسب الفقها فامر القاضي باخذه ثم ادبه ادبا موجعا بحضرة الفقها وامر
بكنس الزبول من على القبور ومن حول المسجد وانصرف فركب الصقلي من ساعته الى الزهرا وحشد الصقالبة
في جميع القصر وسنع عليهم فضه فتعصبوا معه كلهم ونهضوا اجمعهم الى الناصر عبد الرحمن فشكوا
بشكوا صاحبهم وبكوا وقالوا انما فعل هذا بك نحن خدمتك وسكان قصرك والامنا على حرمك يفعل بنا
مثل هذا ثم لا تنصرنا فراع امرهم وبعث في ولي العهد وقال له اسمع ما يقول هولاء وانظر ما يأتيه هذا الذي
انتسبن فيه فلما سمع الامر عظم عنده ايضا وعز عليه ما راى من شوب الناصر ح عبيده فقال له الناصر
ابعث فيه واخرج عليه وابعث به الي حتى اعرف ما الذي حمله على ما فعل فحكي عن الناصر انه قال دخلت على ولي
العهد فلما صرت بين يديه قال لي كم تطالب نفسك لست والله اقدر لك على شي ولقد رايت امير المومنين من
الحنق عليك في غاية ما اقدرت على اعراضه فيك بكلمة وان هذا لمما يعميني فيك قال القاضي فقلت له تبرا مني
كما تبرا ابراهيم من ابيه اذ تبين له انه عدو لله ثم جاء الاذن فقال للقاضي اجب امير المومنين فقام فدخل
فوجدت الصقالبه قد وقفوا اجمعين يكادون ينهشونني وعبد الرحمن جالس والسيف بين يديه على عادته
فلما احذت مقعدي قال لي ما حملك على ضرب فلان وهتك ستره فقلت له يا امير المومنين انما انا عين من عيونك
وعدة من عددك انصح في سلطانك واذب عنك من اراد ادخال الوهن عليك فيه وما كان بيني وبين فلان
ما يوجب التعدي عليه ولا انتصرت منه لنفسي بل النصرة كانت لك لانك وليتني القضا وقدمتني للنظر
في احكام المسلمين ومظالمهم وتغيير ما لا تحب من المنكر وما امرت اليه وجدني [illegible] القول باني
ظلمته وتعديت عليه بل ان يعي الفقها اهل الشورى وما صنعت شيئا الا عن رايهم فالذي يصيبني يصيبهم [illegible]
الحق والقول به ثم حكيت له قصة المسجد وجيرانه واعذاري الى الفتى وما لقينا به ثم قلت يا امير المومنين فلما نظرت
الى مسجد جدك [illegible] في مصر لي الذي ابت الخليفه فيه مهانا وسمعت ان مسجد مسلمه بن عبد الله بلاد الروم يعطى
اردت ان اشتفي لك [illegible] على انك لا ترضى بما يفعل فتاك وان انكاري من انكارك ونحن على مذهبك في الحق فلهذا
صنعت ما صنعت وانمت تفوتن الفقها الذين شوفتهم انت بنفوذ قولهم عليك وعلى اهل مملكتك فانا ما ركبهم

مني وقابلني به فموضع عنه ولو لقيني به في الخلا منفردًا لما عاقبته عليه ولغفرت ذلك له
لمنزلته من خدمة امير المؤمنين فلما سمع مني هذا اسرى عنه وقال جزاك الله خيرا وسمعنا لحسن
نظرك انصرف في حفظ الله ثم اخذ السيف من بين يديه وحمل به على الصقالبة وقال لهم ان
احمي منكم اثنان بعد هذا ضربت رقابكم اذهبوا فعليكم العفا لم تجرأتم تلبسوا علي وتوقعوني فيما لا
يصلح قال القاضي فخرجت من عنده ولقيت وصيفا من وصفاء ولي العهد فقال لي انا منتظر
وولي العهد منتظر لا منزل فانهض اليه فمضيت معه حتى دخلت عليه
فوجدت اثر الاشتغال باديًا على وجهه فقال لي ما ورائك فوالله ما خفت عليك منه قط
خوفي اليوم مما رايت تسليه مع القوم قال فقلت له وجدت رجلا مؤمنا اتقى الله فيك ثم
حدثته الحديث فحمد الله على ما كان وخرجت عنه وله من مثل هذا كثير الا ان هاتين القصتين
اشهر ما جرى له في جهة السلطان وتجريد النصيحة لهم الى ما جرى له مع ولي العهد في
امر حسداي اليهودي ونصحه له فيه وحضه على اطراحه وتسخطه ذلك منه حتى حجبه في بعض
الاوقات مدة طويلة لم يوصله الى نفسه ولم يلفت القاضي عن نصيحته فلما اجدى انكشف ولي العهد
وتنقصت منزلة حسداي عنده ولم تزل منزلة اليهودي تنحط حتى قبض الى لعنة الله وللقاضي فيه
قصيدة معروفة ازرى فيها على الوزراء ووصف ذلهم لحسداي وتعظيمهم لشانه وحضهم على السطوة
به وبعثهم على تجريد النصيحة في امره وكان حسداي يتعرض للقاضي في الايام التي حجبه ولي العهد
ويلقاه في بعض الفصلان فيقول له وانت هاهنا يا خنزير فيذل حسداي ويصرف القاضي دون
ان يصل حتى كان ما ذكرته قبل ذكر كيف كانت سيرته رحمه الله وما خذه في نفسه في مرضيه
ونافلته ونظره ونشره للعلم قال ابو عمر اخبرني حكم وسمعت بعضه من اخيه سعيد ومن طائفة
من قرابته قال لو كان يلازم لشهود الصلوات الخمس مع الناس في المسجد لا يفوته فيه صلوة الا ان
تمنعه من ذلك علة او مغيب وكان يتحرا الصلوة في الجماعة حيث كان وكان يعتقد وجوب الصلوة
في الجماعة فرضا على مذهب داود بن علي وكان اذا صلى الصبح انصرف الى داره فولى تحريس
القران من الاجزاء الموقفة في المسجد فيوضع بين يديه من تجزيه اثني عشر فلا يقوم من مقعده
حتى يقرا الجزو فاذا فرغ اطعم وسال عن اجتماع الناس واهل الخصومات فاذا اخبر باجتماعهم
خرج اليهم وجلس للحكم في شبالك كان في اصطوانه ومرة في المسجد على كثرة الخلق وقلتهم ورب
حكم في بيته ودخل الناس عليه فيه واكثر ذلك انما كان عند جمع الفقهاء للشورى وكان يجمعهم

[illegible]

في بيته ويشاورهم فيما يجب مشاورتهم فيه فاذا تم مجلسه وانقضى دخل بيته فصلى صلوة
طويلة لا احد قدرها باكثر من هذا فاذا فرغ منها صار الى نومه كان ينام منها يقوم منها قبيل الظهر
ثم يدعو بالغداء فيأكل وانما كانت له اكلة في اليوم ذلك الوقت لا يعدوه واحسبه كان يسعد من
ادمان الصوم ما يمنع فاذا فرغ من الاكل تهيا للصلوة وخرج الى المسجد فيتنفل فيه حتى يقام الصلوة
فيصلي مع الامام فاذا انقضت الصلوة ركع بعدها ركعتين فان كانت عليه دولة السماع
حول ظهره الى القبلة واجتمع التلاميذ حوله وقرى عليه في المسجد وربما انصرف الى داره
وقروا عليه في بيته وان جلس في المسجد صلى العصر وان كانت الدولة متمادية بعد العصر
لاوليك او لغيرهم جلس بعد الصلوة حتى يقضي الدولة وان كان في بيته خرج للصلوة في المسجد
ثم رجع معهم حتى يقضي حاجتهم وان كانت الدولة منقطعة عند صلوة العصر انصرف الى داره
واستلقى على ظهره ... ثم جلس واخذ كتابا من كتبه يطالع حتى يسمع الاذان بالمغرب وان
لم يكن عليه دولة سماع بعد الظهر ولا بعد العصر صلى الظهر في المسجد ثم قام يتنفل فيه الى ان يصلي العصر
ثم ينصرف الى بيته فيطالع الكتب كذلك الى المغرب وربما يتنفل بين العشائين وربما جلس
مع جيرانه من بعد صلوة المغرب الى ان يصلي العشاء الاخرة ويحدث معهم ويسالهم عن امورهم واسبابهم
بذلك وكان يحدثهم بما يدور له مع السلطان وما يلقاه من مقارعة ذوي الحرم وكبار رجال السلطان
في احكامه وصعوبة تنفيذ الحق عليهم فان اخبره احد من جيرانه بحاجة تعن له او لغيره ممن يرغب عونه
فيها وباسد الحواخذ بيده فيها وجرد العناية في الحق حتى يبلغه ويظهره واذا كانت القضية لغير الجار
بها قال له جئني بالرجل او ابعث به الي فيستفهم عن سببه ويقف على جميع امره ثم يجد في عونه وما
زال عالي الخاطر في كل ما حاوله من ذلك لصحة نيته وسلامة نفسه وحرصه على نصر المظلوم وكان اذا انصرف
من صلوة العشاء الاخرة اوى الى فراشه فينام نومة وياخذ بها نفسه ثم يقوم فيتوضا ويصلي بقيته
ليله في كل ليلة الا ان يمنعه من ذلك مانع مرض شديد ثم يكون اول من ياتي المسجد وربما سبق بخروجه
المؤذن فخرج اول الفجر فان وجد المسجد مفتوحا دخل والا استلقى في دكان المسجد او ضرب على القيم باب داره
وكان هو الذي ينبهه ويحركه الى الاذان فهذه كانت سيرته رحمه الله في نفسه لم يحل عنها حتى توفي ولم
ينم ولقد حدثت ان رجلا وجده مستلقيا في بعض الاسحار على دكان المسجد فعرفه فجلس اليه دون
الرجل في السحر ابدا او الحاج عرضت له فلما راه مال اليه وسلم عليه ثم قال له يا سيدي انك لتعرض
نحو وجل في مثل هذا الوقت منفردا وانت اعظم الحكام وفي الناس المحكوم عليه ومنهم

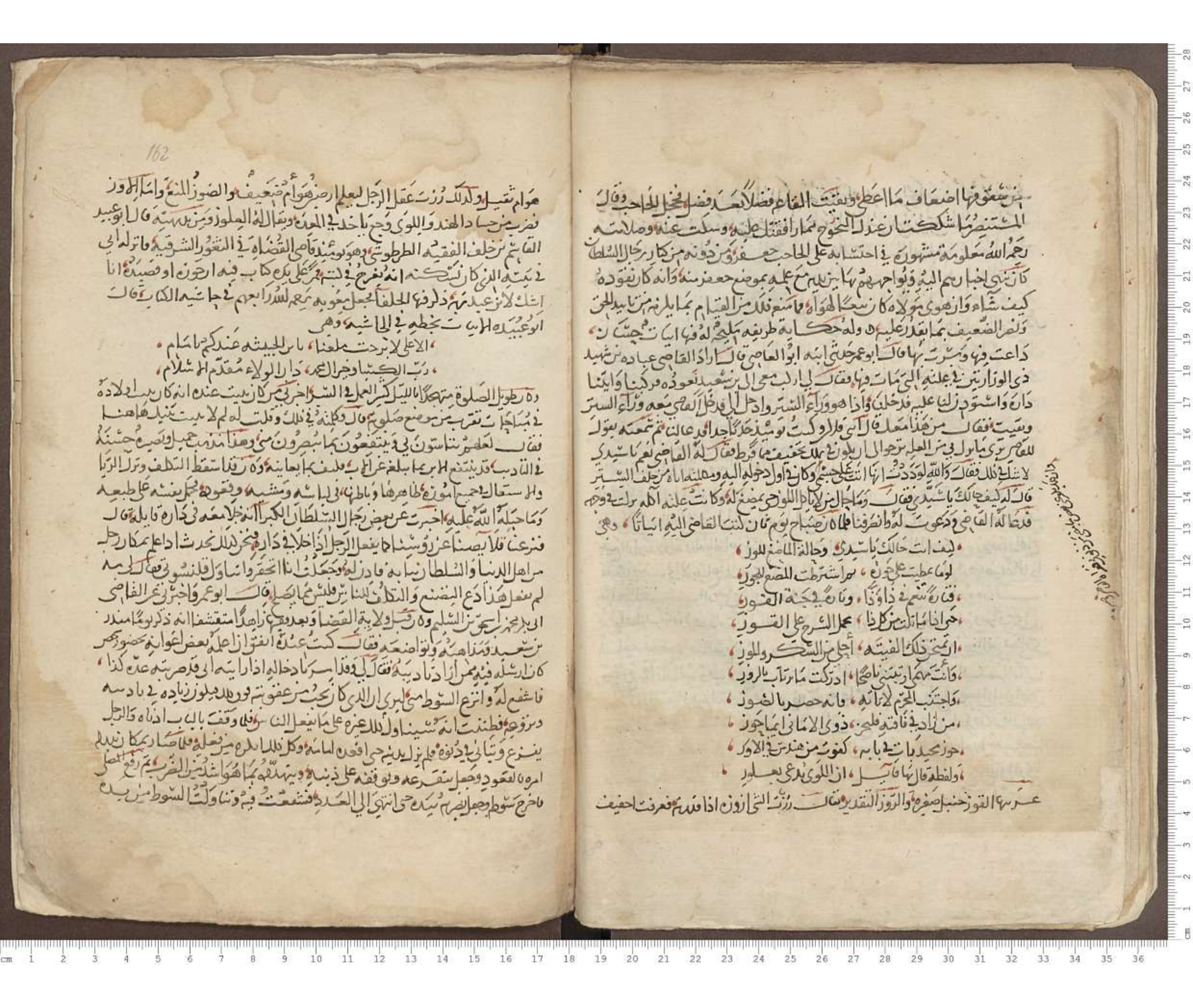
الرقيق الدين والضعيف العقل فلو استغرت بخروجك لكان اقرب الى السلامة يعرض له ويخوفه
ان قد تصدى له من بغتاله فقال له يا اخي وانا الى مثل هذه المنزله واي لي بالشهاده ما اخرج
تعرضا للتغرير ولكني اخرج متوكلا على الله اذا انا في دمنه وعندي من سوته الحزم به
ممن يريد ضري واعلم ان قدره لا يحيد عنه ولا او زردونه والتمس في هذا الموضع الخلوه
بنفسي والاستراحه في بيت اذن الله ترفعه ليذكر فيه قال ابو عمر اخبرني حكم بن منذر
بن سعيد قال اخبرني ابي انه حج مع قوم رجاله فانقطعوا واعوزهم الما في الجاد
وتاهوا في غير طريق وايقنوا بالهلكه قال فاوينا الى غار في جبل فدخلنا في ظله ننتظر
المنيه قال ووضعت راسي ملصقا بالجبل فاداني حجره في قبالتي فعالجته فنزعته فاسعت
من تحته ماء عذب احيانا الله تعالى به فاحرزنا منه ما بلغنا الى الطريق وكانت قرايته في تعلم
الاغلب عليه فيها الجهر حتى ما كان يتمه سامعه فسال عن ذلك بعض الناس وقال له تعلم ما جاء
في الترتيل من الفضل وانت تهز جهدك فقال له والله يا بني لو قرات منه ايه لا اعلم بعبر ما
ومعناها وما انزلت فيه ما جهرت به هذا الجهر وما يخفى علي منه الا ما لم يفض الله تبارك
وتعالى للعباد فضله للذي اهم استكثارا من الحسنات على ما جاء في الحديث ان كل
حرف عشر حسنات وقد كانت له ايضا اوقات يقرا فيها بالترتيل والتدبر حدثت عنه
بعض ولده انه مضى معه الى جنان كانت له بتربه ودرس بالتهلله ولم يصحبه غيره من ولده قال
المحدث ووكده فنزل بغرفه كانت بها الاحي الكبير وكانت لي غرفه الى جنبها كان يسكنها في ايام
العصر اذ كان يدخل الى الجنان فنزلت معه في غرفه اخي وكان بها حتى تعشينا وصلينا العشا فقال
امض الى غرفتك ونم على فراشك فاني اريد النوم قال فصرت الى غرفتي وبيننا حايط ونمت على فراشي
فانتبهت في بعض الليل فسمعته يبكي فقمت واخفيت حسي حتى صرت وراء باب الغرفه التي بت
فيها فسمعته يقراء بمهل وترتيل ويردد الايه بعد الايه ويبكي بكاء شديدا فسررت بذلك وفرحت
به وعلمت انه مثل تلك الاوقات وانه يستخفي بها وتطلب فيها الخلوه قال المحدث واحسبه
توهم ذلك في تلك الليله فاني كنت ثقيل النوم جدا وكان يعرف ذلك مني فرجعت مسرعا لئلا
يشعر وظننت ان الله تبارك وتعالى قضى بانتباهي في تلك الساعة ليريني منه ما اسر به
اذ كنا نشتهي له مثل تلك الحال وكان ابيه هذا ابو تر قراه الترتيل ويا خذ بها نفسه وهذه
كانت سيرته رضي الله تعالى عنه في نفسه وماخذه وتعبده لم تمر عليه ساعة من دهره الا وهو

في اكثر تقربه من ربه وتزلفه اليه الا في القليل الفذ لما يلزم الانسان من اقامة معاشه وما لا بد
له منه لم يضيع اوقات فرضه ولا ساعات نافلته ولا ركن فيها الى الراحات ولا تشاغل عنها بالفكا
ولقد كان يسير الى هذه الجنان المذكوره ويرحل اليها باهله مستريحا فيها ويسير كالمهموم بات تنغير سيرته فيها
معهم كما ذكرته ولقد كان بعد ذلك في علله وامراضه حدثت عنه ابنته انه اعتل عله ثقيله
لم رضيته فيها وكانت زوجته في الجنان مع بعض بنيه احسبها كانت بها عليله واعتل هو نقرطبه لمرضته
بنته قالت فلما تخفف والى صحوه من النهار في بعض الايام اغلق على باب البيت فاني اريد النوم وطرح
في الفصيل بين الدارين فان دعوتك سمعت فاذا سمعت المؤذن بالظهر فانبهني قالت ففعلت ما
امرني به فلما سمعت المؤذن اتيت باب البيت ففتحته فوجدته جالسا فقال لي كنت قد استوحشت
نفسي لما حرمت من الصلوة هذه الايام فلما تخففت تشوقت نفسي الى القران فقرات سند خرجت عني الى
الساعه نصف القران ووجدت لنفسي خفه رايتني احمد الله ثم جدد الوضوء وصلى الظهر قالت وكان
رحمه الله يحدثنا بمثل هذا من فعله لينشطنا بذلك على فعل الخير والرغبه فيه واخذ انفسنا به ومما يعرف
به فضله انه لم يكن طالبا للدنيا ولا مواصلا لاهلها ولا مداخلا للملوك بها في بدو امره واتما
قدم من حجه ولزم باديته التي خرج منها لاداء فرضه وحج منها على قدميه لم يركب في سفره الا في الغذ لعله
لحقته او ضروره ضمته الى ذلك وكان رجلا مشيه على قدميه اذ كانت فيه حداثة ورغبه وقوه وكان رجلا له
فاعطاه الله تعالى نيته وبلغه من ذلك امله وقضى حاجته وقد ذكر في شعره الذي خاطب به اهله بالقيروان
ما دل على استسلامه لله وتوكله على الله وصدق نيته وصحه طويته وقوه عزمه وهي قصيده معروفه مشهوره
له ولما انصرف من حجه لزم بيته وانقبض عن الناس عامه واتخذ مسجدا في قريته على باب داره كان يصلي فيه
باخوانه وجيرانه جميع الصلوات ويؤذن لها وينفرد في المسجد عنهم في غير اوقات الصلوات المكتوبه
في كثير من الايام وكان قد اقتطع من داره دويره صغيره وبنى فيها بيتا صغيرا اخرج من اهله من دخل
الدويره والبيت فكان لا يخرج من تلك الدويره الا للصلوة المكتوبه او لما لا بد له منه عند الضروره
وكانت زوجته واولاده ومن يحمل له ارضه في ساير داره كان يشتغل بما يعنيه لا يغفل وكان
عند بنيان البيت قد نزل في الحيطان من داخله على قدر الاربعه اشبار رفا مستديرا بجميع حيطان البيت
من اللبن عرضه قدر يزيد على الشبر حاشى موضع جلوسه وجعل كتبه رزما في ذلك الرف حوالى البيت
وكان اذا صلى الصبح في مسجده انصرف فدخل تلك الدويره واقفل على نفسه بابها فلا يخرج الا لحاجه
وكيده او صلوة مكتوبه ثم ينصرف واذا كان الليل وانصرف من العشاء الاخره اوى الى فراشه

مع أهله ويقوم لتهجده في وقته الذي قد عرف به نفسه فيدخل تلك الدويرة فيصلي في البيت
او يخرج الى مسجده ويتهجد فيه وكان ببلده يومئذ قوم خيار واهل ارادة من اهل الحج يخرجهم من اهل
الادب منهم كانوا يقصدون في ايام الجمعة ويجتمعون اليه في مسجده يسألونه عن مسائل
دينهم وعن امور من الزهد والورع وكان يعد ذلك من ذخائره وقرباته وجنيد الفكار البنين
عن مثال اليقين فاخذوه عنه وسمعوه منه وكان يذكرهم به ويقرأه عليهم يوم الخميس وينفع
الله به وكانت هذه حاله حتى جرى ذكره عند ولي العهد الحكم بن عبد الرحمن امير المؤمنين
فقيل له ان رجلا من اهل الكوفة جلب كتاب العين للخليل بن احمد في اللغة فتطلعت اليه
نفسه ونازعته الى رؤيته اذ وصف له بالعلم والانقباض والتبتل فبعث فيه واشخصه
الى قرطبة واوطأه الى نفسه وفاتشه على العلوم فوجده فوق ما وصف له فعضه الى الرحيل الى قرطبة
فلم يكن له بالسلطان نظام ولا قدر على الامتناع منه وخاف ما لم يزل العلماء تخافه فانطاع
ولم يلزم العامة من الانقياد لسلطانهم والسمع والطاعة لهم فابتلي بالسلطان واستحي بحرمته
فاستشعر آثار الحق على ما تقدم ذكره به في الكتاب ولقد حدث عنه ثقة من اهله انه قال
له رأيت هذه الاحكام وانا اعدها بلية عظيمة ولم ار خطتها واعانني الله عليها ونصرت المظلوم
وقمعت الظالم ولم تأخذني في الله لومة لائم جهدي وطاقتي وارجو ان يكون لي فيها اجر ان شاء
الله تعالى ما تعوضت قط هتك حرمة حرمها الله ولا اغنيت عليه من اراد انتهاكها ولقد دنيت
عن شر ايم الله جهدي وسخت فيه بنفسي ووطئت في كثير من الاوقات على الهلكة وتفضل الله
علي بالسلامة وارجو ان يتبع ذلك تمام المغفرة فلا معصوم الا من عصم وكانت له مع هذا الورع والنظر
اخلاق جميلة ودعابة حسنة ومعالم لاخوانه بالادب والخضوع قال ابو عمر احمد بن
خلف بن ابي جعفر قال كنت عند ابي ابراهيم الفقيه ونحن نسمع عليه اذ دخل العصر اعوان منذر
القاضي فرفع اليه كتابا مطويا وقال له القاضي يقرئ السلام ويريد ان يعتني فيما لك عنده فقال
له امهلني فيها اياما فاني بحال شغل فقال له الغلام نعم فبدئ بهذا امره القاضي ان اخذ عنه ثم
خرج فقال لنا ابو ابراهيم القاضي جميل المعاملة كريم الاخلاق ورفيق الاداب وكان في الامام
عند ابن عيسى القاضي رحمه الله وكان جمعنا الشورى فاتى ابو الحكم وكان صاحبنا ومشاورنا
معنا وكان صاحب الصلوة بالزهراء فوجد المجلس قد غص بالفقهاء فلم يجد مجلسا الا في اخر البيت فسلم
وجلس حيث انتهى به المجلس وكان ابن ابي عيسى دقيق الادب ايضا فنظر اليه فعز عليه موضعه ثم كره

ان يقيم

ان يقيم غيره من مقعده واحب ان يقرب ابو الحكم منه فقال يا صاحبنا ابو الحكم حفظه الله لا يسرني
موضعه وقد فعل ما يشبهه وجلس حيث اجلسه علمه وترك التجاسر الذي لا يليق بمثله لكني احب له من
بعض موضعي وبعض من يليني حتى يجلس الى جنبي واني احب ذلك فقال له ابو الحكم جزاك الله يا سيدي
خيرا على برك وبر مثلك وكل مجلسك رفيع وقد وليت بما يشبه ادبك ومكارمك والمعروف
منك ولا عدمناك وانا احب منك ان تعفيني من التضييق عليك وعلى من يليك ولم يقم من مجلسه
حتى انقضى المجلس وكان اذا سمع محالا او حضره جواب مسألة تكلم به لا سيما اذا كان عاضد اللحق او دافع
لباطل قال ابو عمر حدثني ابو محمد بن اسد البزاز قال شهدت منذرا القاضي في مجلسه يوما
وعنده ابن القوطية الصبي منهم اذا استفتح الكلام نطق بالفصاحة فقلت له يسمعها من ابويه
فينطق بما يسمع فقال بل هو مطبوع على ذلك فقلت له ما سمعت هذا قبل وكثر في ذلك وجعل
يحتج له فلم يسمع القاضي لم يجبه وقال لي يا ابا محمد انت تذهب الى قول الله عز وجل والله اخرجكم من
بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا فسكت ابن القوطية فلم يحر جوابا وقد حكي عنه ايضا انه ناظر
ابن القوطية يوما في الفرق بين المسلم والمؤمن وان المسلم غير المؤمن والمؤمن غير المسلم فلما ترك عليه قال له
القاضي يا ابن الوثل المزن لم تكن عائشة امه فسكت وانقطع قال ابو عمر وحدثني عنه من صلابته
في الحق ان جعفرا الفتى الحاجب اراد ان يبتاع دارا لاحمد بن محمد بن حسين وكان سفيها فبعث في وصيه وطالبه
ببيع الدار منه ولقدرته بالقاضي وما يخشاه منه من التعقب للامر واتى المكروه به فقال له بع
عليه مني وتلبث في الابتياع انك بعثت ليعتاص له ما هو ارشد واعود فلهم فيه ساغ له فيها ضياعا فاذا
بعدها لم تخف تعقب القاضي قال فاذا دب عنه فلاطفه حتى خرج عنه واتى القاضي فاجره فقال
له ثم اعطاه بها وقد رعد كأنا فقال له القاضي ولا في قرامدها انزل السقوف ولا تعاض وبعها وسقي
الساحة فينقطع عرضا يقوم للسفينة منها اضعاف هذا فابى الا ابن التجاسر من هذا الفتى فمضى الوصي
وشرع في انزال السقوف وبيع الانقاض فبلغ ذلك الحاجب فعز عليه وقال للمستنصر ان القاضي
يهدم دور السفها ويبيع انقاضها فتعجب من ذلك فلما دخل عليه القاضي قال بلغني انك تفعل كذا وكذا فقال نعم
وجدت هذا افعال له في كتاب الله تعالى وقال واين موضع هذا من كتاب الله فقال قال الله
تعالى اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا
وانما فعلت الذي بلغ امير المؤمنين في داره ولا كتاب الله فقال له من كان الملك الذي
وراءها واراد غصبها فقال له هذا القائم على رأسك وحكى له القصة بحضرته وقال قد استانف



من شعوبها اضعاف ما اعطي وبقيت المقام فضلا بعد فضل فخجل الحاجب وقال
المستنصر ما اشكت عنك النحوح بما افقتك عليه وسكت عنه وصلابته
رحمه الله معلومة مشهورة في احتسابه على الحاجب جعفر ومن دونه من كبار رجال السلطان
كان ينهي اخبارهم اليه ويواجههم بها بين يديه مع علمه بموضع جعفر منه وانه كان يقوده
كيف شاء وان هوى مولاه كان معه الهوى وما منع ذلك من القيام بما يلزمه من تاييد الحق
ونصر الضعيف بما يقدر عليه وله حكاية طريفة مليحة له فيها ابيات حسان
داعب فيها وسر بها قال ابو عمر حدثني ابنه ابو العاصي قال لما اراد القاضي عياده ابن شهيد
ذي الوزارتين في علته التي مات فيها فقال لي اركب معي الى ابن شهيد نعوده فركبنا واتينا
داره واستوذن لنا عليه فدخلنا واذا هو وراء الستر وادخل الي فدخل القاضي معه وراء الستر
وبقيت فقال من هذا معك قال ابني فلان وكنت يومئذ حدثا جدا فدعا لي ثم سمعته يقول
للقاضي يا ابا بكر من العلة من حوالي الرأس في تخفيف ما فرط فقال له القاضي نعم يا سيدي
لا شك في ذلك فقال والله لوددت انها انت على حبسي وكان في اول دخوله اليه ومطالبته اياه من خلف الستر
قال له كيف حالك يا سيدي فقال وما حال من لا يادر الموت يمضغ له وكانت علته الاكله بوجه
فدعا له القاضي ودعوت له وانصرفنا فلما كان صباح يوم ثان كتب القاضي اليه ابياتا وهي

كيف انت حالك يا سيدي ... وحالة المانع للوز
لو ما عطيت على خوخ ... مر اشترطت المضغ للجوز
فتاره تشرع في ذا وذا ... وتاره في جنة القوز
حتى اذا ما تلت من كل ذا ... محل الشرح على القوز
ان محل ذلك الفتية ... احلي من السكر واللوز
وانت مهما رتبتني ناصحا ... ادركت ما ترتاب بالروز
واجتنب الحزم لايانه ... وانه حصر بالفوز
من زاد في فاقته فليجر ... ذوي الاماني ايما جوز
حوز محمد بات في بابه ... كعوذ من هند في الاوز
ولفظه قال بها قايل ... ان اللوي يدعى بعلوز

عن بها القوز حنبل صفوه والروز التقدير فقال رزنت الشي ازون اذا قدرته فعرفت احفيف

162

هوام ثقيل وكذلك رزنت عقل الرجل ليعلم ارض هو ام ضعيف والصوز المنع واما الاوز
فضرب من حساب الهند واللوى وجع ياخذ في المعدة ويقال له الملوز ومن بديهته قال ابو عبيد
القاسم بن خلف الفقيه الطرطوشي وهو يومئذ قاضي القضاة في الثغور الشرقية قال لي
في بيته الذي كان يسكنه انه بعرج في لبته وبكر على بكره كتاب فيه ارجوزة او قصيدة انا
اشك لابن عبد ربه ذكر فيها الخلفاء فجعل معوية رابعهم في حاشية الكتاب قال
ابو عبيد الابيات بخطه في الحاشية وهي

الا على لا برحت ملعنا ... يا بن الخبيثه عندكم ما امام
رب الكتاب وخير الهدى ... دار الولاء مقدم الاسلام

وكان طويل الصلوة متهجدا بالليل كثير العمل في السر اخبرني من كان يبيت عنده انه كان يبيت احيانا
في مساجدات تقرب من موضع صلوته قال وكلمته في ذلك وقلت له لم لا تبيت ها هنا
فقال لعلهم يتناسون بي وينتفعون بما يبصرون مني وهذا مذهب جميل وقصد حسن
في التاديب وقد ينتفع الانسان بما يبلغ من الخبر فيكف بما ياينه وكان رحمه الله قد اسقط التكلف وترك الرياء
والاستعمال في جميع اموره ظاهرها وباطنها في لباسه ومشيه وقعوده حمل نفسه على طبيعته
وما جبله الله عليه اخبرت عن بعض رجال السلطان الكبراء انه خلا معه في داره ليلة قال
فنزع قلنسوته عن راسه كما يفعل الرجل اذا خلا في داره ونحن لذلك نتحدث اذ دعا بمكان رجل
من اهل الدنيا والسلطان يستاذن فاذن له وجعلت انا اتحفز واتناول قلنسوته وهو لا يلبسه
لم يفعل هذا ادع التصنع والتكلف للناس فليس مما يصلح قال ابو عمر واخبرني عن القاضي
ابي بكر محمد بن اسحق بن السليم وقد ترك ولاية القضاء وبعد فهو زاهدا متقشفا انه ذكر يوما منذر
بن سعيد ومذاهبه وتواضعه فقال كنت عنده اذ اتى اليه بعض اعوانه يحضر بحضره
كان ارسله فيه ممن اراد تاديبه فقال لي وقد ابصر ما داخله اذا رايته الى قد ضربته عدد كذا
فاشفع له وانزع السوط مني لئلا يرى ان الذي كان يجب من عقوبته يدرك بزيادة في تاديبه
دون عفو فظننت انه شيئا ولذلك عزم على ما يفعل الناس فلما وقف بالباب ادناه والرجل
يفزع ويتناهى في دنوه فلم يزل يدنيه حتى اقعده امامه وكل ذلك يخاف من فعله فلما صار بمكان لا يطلع
امره العقود وجعل يقرعه ويوقفه على ذنبه ويتهدده بما هو اشد من الضرب ثم رفع المصلى
واخرج سوطا وجعل يضربه بيده حتى انتهى الى العدد فشفعت فيه وتناولت السوط من يده

قال ابو عمر وكان لا يبذل السلطان ولو في نفسه جهدا احبرني بخبر ابنه قال له كان ولي العهد قد
احلى لي مرة في شي فانفت وانصرفت بغير اذن متغاضبا فعفا عني ورجا ان استحى له وان اعرض
لمرضاته فلم افعل فبقيت سنة عشر شهرا لم اكن وقلم اسن اليه ولا اثنيت اليه بحرف فلما طال
استطانه ويئس من انتدابي ابتدا بالفضله فارسل في وادخلني الى نفسه قال ابو عمر اخبرني
بعض شيوخي عن بعض من كان يخدم حسداي وكان خادما لولي العهد الحكم في كثير من امور وهي
في امر الكتب انه لما اتى منذر بن سعيد من المشرق وجرى ذكره عند ولي العهد واستقدمه
من وطنه الى قرطبة جرى امره على يد حسداي بما امره به ولي العهد وسال الغرا اشياء وسمع جوابه فيها
ثم دعاه الى ضيافته فتعالى عليه وامتنع فلم تقض ذلك وانصرف منذر حمل جيدا الى بيتيعه
بصره شاخصا وتحرك راسه متعجبا منه وقد قاله منهم وكذلك كان رابط الجاش صلب
النفس ذو منظر ومخبر وكان بسبب بو اضم نصف قديم امره واحواله مماه ان عزم يا ان
ان يسمع ان يسمع من عزمه فضلا ان يصف بذلك نفسه اخبرني بعض ولده قال سمعته مرة
وقد ذكروا اول اقباله من بلده فقال وانا يومئذ في كساء قال وسمعته مرة ثانية
يقول لما دخلت قرطبة وافقت ذلك الوقت ايام ابي عمر بن عبد ربه وله دولة ومجلس يحمد
بالنحو والشعر والادب والمشاركة في كل من حضره كل عالم واديب فمضيت مع من مضى فوافقت
المجلس قد احتفل وانا بكسائي فلم يكن لي موضع الا موضع الاحتقار فالفى بن عبد ربه مثله واخبار
كلاما فتكلم العلماء والادبا واختلفوا وحضرني فيها جواب فقلت لمن يليني فيما الجواب اليه
فقال ادرى من قال هذا فقلت ان تردوا اشاروا الي فقال لي ادن فلم يزل يدنيني حتى انتهيت
اليه فاقعدني الى جنبه ومن قلة مباهاته بعلمه ما اخبرني به ابو محمد عبد الله بن محمد بن اسد قال
حضرت بجلسته وقد اوعب القاري بقراءة الدولة من كتاب العين ثم وصل بقراءته
انشادا ابيات القاضي المذكور بعد فراغ خطبته عند قدوم وفود الروم فلما ابتداها
كان العاكم لم يستجد ذلك فقام واستقبل القبلة وهو في المسجد فلم يزل يصلي والقاري يقرا
حتى اتى على اخرها قال ابو عمر هذا اخر ما وصل من اخبار البينة وما غاب
منه عنا فهو ان شا الله نحو ما ذكرنا والحمد لله تعالى
تم الكتاب بحمد الملك الوهاب وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

و ما اعطاه الله من المعجزات لجميع الانبياء فقد اعطاها نبينا محمد و ما اعطي لادم من المعجزات سبع ولادريس اثنين
ولنوح خمسة و لصالح ثلثة ولهود ثلثة ولابرهيم سبعة و لاسماعيل ثلثة و للوط ثلثة و لاسحاق ثلثة
وليعقوب ثلثة وليوسف ثلثة وليونس ثلثة ولايوب ثلثة ولشعيبا ثلثة ولموسى عشرين ولداود خمسة
ولسليمان ثمانية ولزكريا ثلثة وليحيى واحد ولعيسى تسعة صلوات الله عليهم اجمعين اما معجزات ادم ما روي
عن ابن عباس رضي الله عنه قال كان من معجزات ادم ان الماء ينفجر من الحجر و الثاني ان النبيين كلمته معه والثالث ان الله كان
ياخذ الحجر من يده فكانت تتكلم و الرابع انه كان يتكلم مع الصنم المعبود من الحجر و الخامس انه كان ينزع الحب و يحصده
في تلك الساعة و السادس انه كان يمشي فيمشي معه الحجر والسابع انه كان ياخذ النار بيده فلم تحرقه اما الاول فله معجزة الماء
فكان سببها ان الله لما تاب عليه وكان نعله وبقي اربعين سنة وتلك الكعبة فلما فرغ من بناء الكعبة رجع الى وطنه واشتغل
بالزراعة والنكاح فلما كثر اولاده وكان اولاده يعبدون الاوثان و قتل قابيل هابيل فلما هجر ادم من فعل قابيل هجروا اولاده عنه ولم
يومنوا به اربعين سنة فلما دعا ادم الى التوحيد والاسلام طلبوا منه المعجزة فاقبل حوا عليه بان يخرج لنا من هذه الصخرة الصلبة ماء
فادم دعا الله تعالى بما جاءه فامره بان يضرب بعصاه على الحجر و قال سبحان من يا نبي عليه الامور فلما قال ادم ذلك خرج الماء من الحجر
سبع عشر عينا فاستقل الناس بالزراعة فلما كان ذلك الموضع و ما كان في مقابلته لرسول الله فانه يوم الحد لما انهزم المسلمون وقتل بعضهم وجرح
بعضهم و صعد الرسول واصحابه الجبل و ابو سفيان واصحابه قريب منهم وما كان ثم ماء و عطش رسول الله واصحابه ثم دعا الله فامر بان يضرب بعصاه
على الحجر ففعل ذلك فانفجر الماء من الحجر اخرج بشرب الكسا والدواب وملوا قربهم فلما لم يكن من قدرتهم لما راوا ذلك واعرض المنافقون

اذا دخل العبد باب العبودية ونال مقام المعرفة
فصار له جناحان جناح المعرفة وجناح العبادة وطار بهما
من عالم الكون ثم الى حضرة الالوهية وجلس في بستان الغيب وراى فيها
عجايب اشجار الملكوت في رياض القدس و يسمع من اغصانها طيور
الجبروت باصوات الصوفية وادرك منها لمعة الجمال وحسن الجلال
الخالص
واعلم ان في البدن ثلثة ارواح روح العبادة وروح المعرفة وروح
وهو قايم بها لو انقطع عنه واحد منها مات عن درجات الطاعات
وله ثلث جهة جهة يتعلق بهذه الارواح الثلث جهة النفس وجهة العقل
واما النفس فهي تابعة بروح العبادة واما العقل فهو قايم بروح المعرفة
واما الروح فهو قايم بروح المتابعة والعبادة حرفة النفس والمعرفة حرفة
العقل والمتابعة حرفة الروح والعبادة تابعة بالمعرفة والمعرفة بالمتابعة
والمتابعة روح المعرفة والمعرفة روح العبادة ومثال العبادة مثال الجسد
ومثال المعرفة مثال الروح لا تفارق احدهما عن الاخرى فارق احدهما لا يتم الاخرى
بلغ العبد عن الفرق ولا يبلغ مقام المتابعة لان المتابعة العبودية
اطفال المعرفة ربا هم اللطف منه بذوق المتابعة نالوا مقام الاستقامة
و نطقوا بلسان المعرفة والعبودية عند العارفين لباس الاحرار وحلي
الابرار وتيجان الشرف على رؤوس اهل الحقيقة وطراز الوجه على جلباب
الاخيار وقال عليه السلام خيرت بين ان اكون نبيا ملكا وان يكون نبيا عبدا
فاختار العبد بل يا الله اشبع يوما واجوع يوما والله اعلم بالصواب